

اجتهادات الإبداع لا يُباع

لم يكن بيتهوفن موسيقاراً مبدعاً عظيماً فقط، بل كان إنساناً نبيلاً وشامخاً أيضاً. لم يقبل أن يوضع فنه وإبداعه في غير موضعه. وعندما اضطر الى ذلك، امتلك القدرة على تصحيح خطئين ارتكبهما، وإن لم يتمكن من إزالة آثار الثانى كلها.

كان الخطأ الأول عندما أعجب بيتهوفن، مثل كثيرين في عصره، بسعى نابليون بوناپرت إلى فتح أبواب التقدم أمام أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر. ولذلك أهداه سيمفونيته الرابعة، وأطلق عليها اسمه، واعتبره بطلاً يُحتذى به. ولكن ما إن نصب نفسه إمبراطوراً عام 1804، حتى فهم بيتهوفن أنه لا يختلف عن ملوك أوروبا الذين حاربهم، وقرر تغيير اسم تلك السيمفونية إلى البطولة (إيرويكاً) 0 غير أنه لم تمض سنوات حتى ساءت أحوال بيتهوفن المالية، فواجه موقفاً أكثر صعوبة بكثير. اضطر إلى بيع فنه من أجل أن يعيش، ووضع سيمفونية لتمجيد انتصار الإنجليز على بوناپرت، عُرِفَت حيناً باسم سيمفونية معركة فيتوريا، وحيناً آخر باسم سيمفونية ويللنجتون نسبة إلى القائد الإنجليزي الذي انتصر فيها. كان بيتهوفن غارقاً في الفقر، ولم يجد أمامه إلا قبول عرض شيطاني من رجل الأعمال جوهان مايلتزل، الذي كان يعمل في تجارة الآلات الموسيقية، لوضع تلك السيمفونية لبيعها إلى خصوم بوناپرت المنتشرين لهزيمته، ولترويج آلة البان هارمونيكون التي كان قد اخترعها لتوه. وقبل بيتهوفن شروط صاحب المال، وقاد أوركسترا عزفت هذه السيمفونية عام

1813، إلى جانب سيمفونيته السابعة المشهورة. غير أن ضمير بيتهوفن الإبداعي كان يوجعه. وبالرغم من أن معظم مؤرخي هذه المرحلة يرون أنه راجع موقفه من هذه السيمفونية بسبب خلافه مع مُمولها عندما نسبها الأخير إلى نفسه، يصعب فهم الغضب الشديد الذي انتابه إذا استبعدنا إدراكه أنه أخطأ عندما باع إبداعه. وربما لم يتصور، حين كان في ذروة الفقر، أن عملية البيع ستحرمه حتى مما صار يُعرف بعد ذلك بحق الملكية الفكرية.

ولذلك فض الشراكة مع مايلتزل، وأعاد صياغة السيمفونية بطريقة جديدة، ولم يحرص على إدراجها ضمن سيمفونياته الكبيرة المعروفة، الأمر الذي يؤكد أن الإبداع لا يكون إبداعاً حين يُباع ويُشترى لأغراض غير فنية.